**جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس**

**قسم اللغة العربية وآدابها**

**سنة ثانية دراسات أدبية الأستاذة :شادية بن يحي**

**المحاضرة الخامسة : النقد الأنثروبولوجي**

**توطئة :**

**يعرف المنهج الانثروبولوجي بشكل عام على أنه علم الإنسان وهو العلم الذي يسعى لدراسة مجرى التطور الإنساني من الناحيتين البيولوجية والثقافية والقوانين والمبادئ التي تحكم هذا التطور والارتباطات التي بين الجوانب الطبيعية المختلفة للإنسان وبين عادات الشعوب في الماضي والحاضر والأنماط التي تميز مجتمعات معينة دون غيرها.
وبحسب المدرسة الانجليزية تنقسم الانثروبولجيا إلى : طبيعية وثقافية واجتماعية.
وبحسب المدرسة الأمريكية فتقسم إلى : طبيعية وثقافية.
أما التعريف العلمي للمنهج الأنثروبولوجي فنرى بأنه، هو منهج شامل لدراسة الإنسان ولا يكتفي بدراسة ناحية واحدة أو مظهر واحد من مظاهر حياته المعقدة أو يقصر اهتمامه على دراسة تكوينه الفيزيقي فقط وإنما يحيط بكل خصائصه ومقوماته البيولوجية والاجتماعية والثقافية سواء في الماضي البعيد أو الماضي القريب أو الحاضر.
وأما تعريفه في الدراسات الاجتماعية، فهو جزء من المنهج الكيفي ويعتمد على المعايشة والملاحظة وتكون المعايشة فيه بشكل فعلي ضمن مجتمع الدراسة وهو يستند على تحليل وتفسير الظاهرة أو المشكلة موضع الدراسة، وكذلك هو دراسة السلوك الذي يتخذ نظم اجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والعادات الدينية والأعراف وغيرها داخل المجتمع محل الدراسة
وتعريفه في علم الإنسان، هو وصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للجنس البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن وتحليل الصفات البيولوجية و الثقافية والأنساق المترابطة والمتغيرة وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة ووصف وتحليل النظم الاجتماعية للإنسان.**

**الانثروبولوجيا والدراسة الأدبية**

**إن دراسة الأدب و معالجة نصوصه ستظلان ممارسة ثابتة على مر الزمن. و على الرغم من اختلاف هذه المناهج في طرقها التحليلية، و في النتائج التي قد تتوصل إليها، فإنها، و لا شك في ذلك، تتعامل مع النصوص، انطلاقا من كونها إنتاج فني في ظل سياق معين. و تعتبر الظروف المحيطة و المؤطرة لإنتاج النص حجة في حد ذاتها، تمهد  و تبلور الفكرة الأساسية لعملية الكتابة، أي ما قبل النص (Le pré-texte). و عليه، فإن دراسة النصوص، لا بد لها أن تأخذ بعين الاعتبار هذه الجوانب المختلف التي أنشأت الكتابة و الإنتاج الأدبي. و على خلاف الشعرية البنيوية، التي كانت تركز في بداياتها الأولى، على أدبية النص في حد ذاتها، مختزلة بذلك النصوص إلى بنيات لغوية و أنساق أسلوبية، دون إلحاقها بالسياق التاريخي و الاجتماعي، فإن تطور هذه التوجهات العلمية نحو السيميوطيك جعلها  تخضع  هذه النصوص إلى مقاييس جديدة، و من ضمن هذه المقاييس، يمكن الوقوف عند اعتبار النص الأدبي خطابا يملك آلية داخلية، لكنه يرتبط بالسياق الذي أنتجه.**

**و في ظل هذا الحديث، يمكن القول، أن عملية إنتاج الأدب معقدة تتدخل فيها عدة عوامل، و بسبب أنه "يملك طريقة خاصة به لقول العالم و كذا رؤية متميزة، فإن الأدب  يوجد  بشكل مختلف لا كوثيقة أو كلعبة للأشكال، مما يدعو إلى محاولة تعريفه  و كذا تحديده بشكل ملائم"** **[[1]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftn1).**

**و على هذا الأساس، يمكن النظر إلى الأدب ضمن نظرة متكاملة، تحاول أن تستفيد من مختلف نتائج العلوم الإنسانية، و منها على الخصوص الأنثروبولوجيا،  التي تدرس "المؤسسات و التقنيات في مختلف المجتمعات"****[[2]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftn2). فمعالجة النص الأدبي في هذا الإطار هي في حد ذاتها "تفكير حول مسألة التمثل la représentation، ومنها على الأخص التمثل الرمزي، أي ذلك الإطار الأنثروبولوجي الواسع الذي يدعو لوضع النصوص الأدبية في مجموع الإنتاجات التي يحاول الإنسان بواسطتها معرفة العالم، و الآخرين،و بالتالي معرفة ذاته أيضا"** **[[3]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftn3).**

**و يشكل لقاء الإثنولوجيا و السيميوطيك و الايثنوسيميوطيك التي تدرس الأدب الإرثي مثل الحكايات الخرافية (فلاديمير بروب) و الأسطورية (ج. ديميويل و ك. ليفي سترون)) حدثا هاما في بلورة  و تحديد إشكالية الخطابات الأدبي من وجهة نظرا إبيستيمولوجية جديدة، و قد تشكل انطلاقا من هذه المجهودات النظرية فرع آخر في حقل الدراسات الأدبية، هو السيميوطيك، الإثينو أدبية، التي تدرس الآداب الخاصة بالجماعات القديمة أو (بالمجتمعات الفلاحية المتعلقة نسبيا)** **[[4]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftn4).**

**و يقوم هذا التلاقح المنهجي المتعدد بفرز قضايا جديدة ضمن مسار الكتابة الأدبية،  و منها علاقة التحليل الأنثروبولوجي بالأدب.**

**و ضمن هذا التوجه يلح جيلبير دوران، في إحدى خلاصاته حول دراسات الأساطير، على نقطة أساسية حيث يرى، أنه على عكس المفاهيم المعتمدة من طرف الباحثين الجامعيين. لا يمكن الفصل  بين علوم الثقافة مثل النقد الأدبي و الأدب وعلوم المجتمع.**

**و يبدو أن التوجه نحو سوسيولوجيا بدون اعتماد الجانب الثقافي للمجتمع، أو التوجه نحو الثقافة دون تأصيل اجتماعي و دون ذلك الأساس "الشعبي" كما تمناه ريشارد فاقنر هو في حد ذاته اللامعنى المطلق** **[[5]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftn5).**

**إذا، فالقطيعة بين الثقافي و الاجتماعي، غير واردة في توجه هذا الباحث الأنثروبولوجي، و في اختيار أنه الابستيمولوجية، فإن العلاقة بين "النصوص" الثقافية و الأدبية بخاصة، و بين "السياقات" الاجتماعية التي أنتجتها واضحة جدا****[[6]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftn6).**

**فبين الوعي الفردي الذي يتلفظ، أو بالأحرى يكتب "نصه" و مجموع التبليغات السياقية intimations للبيئة و المجتمع ذهاب و إياب غير منقطع، أي مسيرة أنثروبولوجيةTrajet anthropologique****[[7]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftn7).**

**و يمكن القول أن الأدب كان دائما تأويلا رمزيا للواقع، تضفي على هذا الأخير مسحة جمالية، تجمع في طياتها الجانب  "الحقيقي" و الخيالي-الأسطوري.**

**و لعل توظيف الأسطورة من طرف النص الروائي، هو في حد ذاته يطرح قضية ذات طابع جنسي générique. و لكن هل يمكن معالجة نص روائي مثلما نعالج نص لحكاية أسطورية أو خرافية ؟ لاشك أن اشتراك هذه الأجناس كلها في البنيات السردية و الخطابية، يمكن أن يكون قاعدة منهجية للتعامل مع النصوص المختلفة، إن ما يهمنا هنا هو الكشف عن سبب و كذا كيفية توظيف هذه الأساطير.**

**كانت دراسة الأساطير تنتمي في السابق إلى مجال علم الفلكلور و الأنثروبولوجيا، و تاريخ الديانات و علم الاجتماع، و قد كانت هذه الاختصاصات تعطي "للموضوع معاني محقرة، و بطيبة خاطر"** **[[8]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftn8) لكن تطور مجال هذه الدراسات طرح إشكالات علمية جديدة.**

**I. انتقال الأسطورة من الشفوي إلى المكتوب**

**يمكن اعتبار تحوّل الأسطورة الإيثنو-دينية إلى الأسطورة الأدبية كسيرورة مضيئة لعملية الانتقال من المقدس إلى المدنس. "و إذا كان الأدب بخاصة و الفنون على العموم مخزنا أساسيا لحفظ الأساطير، فإن الأسطورة "الأدبية" تضيف إلى الأسطورة البدائية دلالات جديدة"****[[9]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftn9).**

**و يتضح أن توظيف الأسطورة في النص الأدبي ليس إلا حجة أو ما قبل النص Pré-texte للتعبير عن قضايا ذات بعد واقعي ترتبط بقضايا الراهن الاجتماعي والسياسي. و قد حاول دارسو الأدب معالجة مثل هذه المسائل في العديد من المناسبات. و في هذا الشأن، أشار بيير برونيل المختص في الأدب العام و المقارن، إلى منهج جديد يعالج النصوص الأدبية التي تتضمن الأساطير القديمة، يحمل اسم الميتو-نقد Mythocritique، و يعني بالتحولات التي تعرفها الأساطير القديمة من خلال التوظيفات المختلفة التي تقوم بها النصوص الأدبية على مر الزمن.**

**و قد لاحظ غريماس، في هذا الأفق المنهجي، أن توظيف الأسطورة في الأدب هو إعادة تنشيط للمعنى و ذلك "بإعادة إدماج لفعل التدليل Le sémantisme في البنية الشكلية، مع الاختلاف الكبير، بالطبع أن الحكايات الأدبية تعبر عن أنظمة من القيم المفردنة، بينما الأساطير فهي تعبر عن نظم القيم الجماعية"****[[10]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftn10).**

**و هكذا تملك الأسطورة الأدبية تداخلا بين القيم الفردية و القيم الجماعية، فهذا الوضع الغامض للأسطورة في النص الأدبي يبرز من حيث "الجمع بين الوصف      و التأويل، على السجل المزدوج للقصة (الحكاية) المؤسسة و للتمثل (الصورة المسننة image codifiée"** **[[11]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftn11).**

**و على دارس هذا المتن المكتوب أن يميز بين هذه المسائل المختلف في كيفية توظيف الأسطورة الأدبية و اتخاذها الدلالات الجديدة المرتبطة من ناحية بالجانبين الفردي و الجماعي، و الجانب الوظيفي داخل النص.**

**و إذا كان لزاما علينا التمييز لأسباب ديداكتيكية بين المناهج التي تدرس الأسطورة و إن اجتمعت حول الموضوع، فإنها تختلف من حيث الطريقة أو المنهج؛ "فالمنهجية "الميثونقدية" (التي تنطلق من النص) أو المنهجيات "الميثا-تحليلية" Mythanalyses" (تلك التي تجعل "المسيرة الأنثروبولوجية" تمضي من السياقات الاجتماعية)، فإن كلمة "أسطورة" التي هي أصل هذين المفهومين المنهجين تبيين لنا بوضوح على أننا نشتغل على المادة الأولية نفسها materia prima. و لا يوجد، بالطبع، أي فرق بين الأسطورة المنتشرة و غير المكتوية، و أسطورة الآداب الشفوية "أورا ليتور" Oralitures، كما يقول بعض الإيثنولوجيين، و كذا ما تتضمنه آداب المكتبات"** **[[12]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftn12).**

**و ضمن هذا التصور المنهجي،يملك  النص الشفوي و مثله النص المكتوب نفس المقام، و يمكن تطبيق عليهما بعض عناصر النقد الأدبي و التي يمكن تصنيفها في منهجية "الميثو-نقد". و قد برز هذا التوجه النقدي ضمن تيار "النقد الجديد" الذي تدعم بانبعاث الاهتمام بالأسطورة، و الدراسات البنيوية – الأنثروبولوجية،  و كذا بإعادة إدماج الفكر الأسطوري في باب الأفكار "الجادة" و التي تتمثل في الكشف على أن خلف كل حكاية التي هي في الأصل نص (شفوي أو مكتوب)، نواة أسطورية أو على الأصح نموذج أسطوري.**

**و بصفة أخرى، لا يمكن للنص الأدبي أن يشارك في المعنى بصفة بريئة، لسبب بسيط و هو كل ما يحمله من لغة و ثقافة في نسيجه يعمق داخله عدة مستويات للدلالة. و لعل الأسطورة تقوم بالدور الأساسي في تحديد الدلالة العميقة له، و كذلك جعله أكثر و أمثل فهم من النصوص الغير الأسطورية.**

 **لم يكن اهتمام الأنثروبولوجيا بالنصوص التارخية يتجاوز القيمة التاريخية لتلك النصوص... وقد عرف جمع المعطيات التقليدية تراجعا بعد الأعمال الأولى التي تمَّ إنجازها في القرن الماضي. فالأنثروبولوجيون الاجتماعيون كرسوا كل جهودهم حول المجتمعات المفردة، واللسانيون ركزوا جهودهم على دراسة بنيات اللغة وأنحائها. أما المبشرون فقد انصرفوا كليا إلى دراسة الأشغال الرعوية**[**[13]**](http://aslimnet.free.fr/traductions/articles/freidmane.htm#[5])**.**

**لذا، فبسبب انشغال الأنثروبولوجيين خلال فترة ما بين الحربين العالميتين بإعداد ترتيبات حصول حقلهم المعرفي على «أوراق اعتماد» ولوج الوضع الاعتباري للعلمية، فقد أغفلوا الأهمية الكبرى للنصوص التي كانت بين أيديهم. وإلى أيامنا هذه، لا زال الباحثون الميدانيون لا يفرقون بما فيه الكفاية بين النصوص ذات القيمة اللسانية أو الأنثروبولوجية المحضة والنصوص التي تستخدِم الموارد الأدبية للغةٍ من اللغات بشكل واع في أغلب الأحيان ويكتسي أهمية قصوى، علما بأن آلات تسجيل الصوت قد مكنت الباحثين من أن يجمعوا في بضعة أيام من النصوص مقدار ما كان يقتضي من سابقيهم عدة أسابيع.**

**لكن الأسس العلمية التي كانت ترتكز عليها أنثروبولوجيا تلك الحقبة سرعان ما تعرضت للتعديل، فاضطر أهل الاختصاص إلى العودة من جديد إلى تسخير معارفهم وملكتهم النقدية لدراسة الآداب بعدما كانوا تركوها جانبا، بتبنيهم الأسس السابقة، وكرسوا جهودهم لتطوير بحوثهم على ضوئها. ومن المؤكد أن الأعمال القديمة التي تحضى بقبول كبير لدى الأنثروبولوجيين المختصين في الأدب هي أعمال مؤلفين لم يعتبروا «العلم» و«الأدب» و«التاريخ» أنشطة مهنية بينها انفصال تام.**

**ومن بين هؤلاء المؤلفين هـ. مونرو وك. ن. شادفيك[[14]](http://aslimnet.free.fr/traductions/articles/freidmane.htm%22%20%5Cl%20%22%5B6%5D). فقد شجعا دراسة المحكيات الشفهية غير الأوروبية بفضل كتابهما الهام «التطور الأدبي» وبكل السلطة التي كانا يستمدانها من موقعهما باعتبارهما باحثين مرموقين في الدراسات الجامعية الأكثر عراقة. وقد استخدم مارسيل غريول (M. Griaul) وإثنولوجيو مدرسته هم الآخرون نمطا في فهم النصوص الأدبية عليما وأدبيا في آن واحد، وتأثيراتهم لا زال يلمس في الأعمال الفرنسية المعاصرة وفي مؤلفين أمريكيين أمثال ف. هـ. صوشنغ (Sushing) وروث بندكت (Benedict) وبول رادن (Radin) وم. ج. وفرانس هرسكفتش (Herskovits). وفي بريطانيا العظمى لم يكف مالينوفسكي عن التحاور مع نقاد الأدب والفلاسفة مع أنه كان من أنصار قيام علم أنثروبولوجي. ويبدو ذلك من خلال التذييل الذي كتبه لمؤلف ج. أ. رتشار وس. ك. أغدن (Ogden) «معنى المعنى» (The Meaning of Meaning). كما تظهر النصوص الأنثروبولوجية العديدة التي نشرها مرفوقة بشروح وتعليقات وعيَه الجيد ببعض القضايا الأدبية.**

**وقد استمر علماء الفلكلور هم الآخرون في الجمع بين البحث الأنثروبولوجي والبحث الأدبي. فالفلكلور شكَّل دائما جزءا من الحقل الأدبي من خلال صلته بفقه اللغة وتناوله بالدرس مشاركة أغلبية أميي مجموع سكان بلد ما وقيمها التحتية في الأعمال الأدبية الرسمية.**

**وقد استغل مؤرخو الأدب ونقاده بكيفية واسعة تلك «الثقافة الجماعية» التي دونها الفلكلوريون والأنثروبولوجيون خلال الحقبة المتسمة بتوجههَا التاريخي**[**[15]**](http://aslimnet.free.fr/traductions/articles/freidmane.htm#[7])**. ويولي الأنثروبولوجيون الذين يدرسون الأدب ومؤلفوا الأعمال الخيالية أهمية كبرى لتلك الثقافة لأنها تمثل التقليد الجماعي الذي لا يتأتى تقويم تفرد مختلف المؤلفين إلا بمقارنة إنتاجهم به.**

**وإذا كان الفلكلور قد أصيب بنوع من الاضمحلال بسبب التقدم الذي عرفته باقي العلوم الاجتماعية فذلك يرجع إلى كونه كان يبدو بمثابة مجرد تعبير عن فضول متحمس لجمع فتاتات اللغة والعادات الشعبية صادر عن أفراد مثقفين ينتمون إلى طبقات أرقى من طبقة مُخبريهِم. ولهذا السَّبب، كثيرا ما كان المثقفون المنحدرون من الشعب - ومعهم آخرون - يرون أن الأنثروبولوجيا تختزل الأدب إلى «فولكلور». وقد كان هؤلاء يتشككون في التساهل الذي يحضون به خلال دراساتهم الجامعية من قبل المهتمين بالفلكلور. وبصدد هذا الاختزال يقول شنوا آشيبي (Chinua Achebé) مثلا:**

**«كثيرا ما يعتقد أن الأدب التقليدي النثري يتمثل في الحكايات الشعبية والملاحم والأمثال والأحاجي... إلا أنني سأمضي إلى حد القول إن تلك الأشكال لا تمثل سوى الجانب الأقل أهمية في ذلك الأدب. فإذا أخذنا مجتمع الإغبو، وهو المجتمع الذي أعرفه جيدا، اتضح أن أجمل نماذجه النثرية لا توجد في الأشكال السابقة وإنما في الفن الخطابي، بل وحتى في المحادثة. أما الأحاجي والألغاز والأمثال... فهي محفوظة في قوالب صارمة ولا يمكنها أن تتنوع بشكل إرادي. أما المحلمة... والحكاية... فهما أكثر مرونة، غير أنهما تظلان أسيرتي بناء معين... وعلى العكس من ذلك، يفرض فن الخطابة والمحادثة الجادة التوفر على موهبة فردية وأصيلة. وفي أشكالهما الأكثر جمالا يجب وضعهما في مقام عال جدا»**

**غير أن هذه الاعتراضات فقدت قوتها تدريجيا خلال العشرين سنة الأخيرة. ويبين مصنف مثل «الدراسة الفلكلورية (The study of Folklore) لألان دوندس (Alain Dundes) أن متخصصي اللغة والأدب الشفهيين والمكتوبين ومتخصصي الأنثروبولوجيا والفلكلور وعلم النفس قد بدأوا يعثرون ثانية في موضوعات أبحاثهم على جوانب صالحة لإنجاز بحث مشترك حول طبيعة المخيلة وتاريخها، وهو بحث يرقى إلى مستوى كبير من الدقة بالمقارنة مع سابقه. ومن هنا فإن النظرية الحديثة في الأنثروبولوجيا نفسها تدين بالكثير للأعمال التي أنجزها النقد الأوروبي حول الرمزية والمجَاز والتحليل النفسي ودراسات أخرى من هذا القبيل.**

**واليوم يقاسم أيضا عددٌُ كبير من الأنثروبولوجيين نقاد الأدب والفلكلوريين واللسانيين والفلاسفة العالم البنيوي، هذا العالم الذي يتميز به الحاضر كما كان «المنهج المقارن» ميزة للماضي. وتكتسي البنيوية أهمية كبرى بالنسبة للأعمال الأدبية لأنها تبحث عن إطار يحتوي مبدئيا على سائر التعابير الجادة الصادرة عن المخيلة والفكر.**

 **وإذا كان الأنثروبولوجيون الذين يدرسون الأدب يتوقفون بالضرورة مليا عند اختلافات الأسلوب والوظيفة في المحكيات تثير في مستوى جد عميق مشاكل مشتركة.**

**ويضعُ التداخل الملاحَظ بين الأنثروبولوجيا من جهة، والفلكلور والدراسات الأدبية من جهة أخرى، يضعُ المساهماتِ السوفياتية (سابقا) في المقام الأول. فهي في الواقع متميزة بجدية تصنيفها وتطور تقنيات تحليلها بما فيها المنهج البنيوي. ويعتبر المصنف الذي يجري إعداده - في معهد غوركي للأدب العالمي التابع للأكاديمية السوفياتية للعلوم - في عشرة مجلدات حول الأدب العالمي، يعتبر بدون منازع المشروعَ الأكثر طموحا الذي يمكن العثور عليه في هذا المجال. فهو يرتكز على سوابق منهجية هامة من بينها ما يسمى بعلم الأدب التصنيفي المقارن (la science comparative-typoloique de la littérature). والعنصر البنيوي في الدراسات السوفياتية متميز بالخصوص في الأبحاث المتعلقة بالأساطير الملحمية والحكايات الخرافية.**

**وإذا كانت الترجمة وأصالة النصوص والحكم النقدي تعَدُّ أكثر المشاكل شيوعا في تاريخ الأدب وسوسيولوجيا الأدب، فإنها لازالت قائمة إلى اليوم. لقد ألحقت آلة التسجيل المحمولة - ولا زالت تلحق - بدراسة الأدب والموسيقى تغييرا سريعا جدا. غير أن ذلك لا يجب أن ينسي إيجابيات المناهج القديمة التي كانت تجمع النصوص بالكتابة وبمساعدة شرح محلي دقيق. ففي تلك المرحلة كان الباحث، بواسطة الاتصال الشخصي المباشر، لا يتمكن من فهم تعقيد التلميحات المتواترة تواترا في قسم هام من الأدب الشفهي فحسب، بل كان أيضا يتمكن من استيعاب معايير الأسلوب ووجاهة الحكم الأخلاقي والجمالي وعناصر العادة والتقليد، وكلها أشياء لا تملك سوى حظوظ ضئيلة للظهور وسط تسجيل ميكانيكي سريع. كذلك، وهذا ينطبق على الأدب والأنثروبولوجيا على حد سواء، لا شيء بمقدرته أن يعوض فكرا متمرسا قادرا على البحث عن تفسير نص من النصوص في عين مكان إنتاجه. ويبدو أكثر فأكثر من البديهي أن النص الأصيل، الشعري خاصة، يتحدَّى في معظمه كل محاولة لترجمته إلى مفردات أوروبية منحدرة من تجربة حياتية مختلفة تماما عن تجربته. وتعتبر المعايير النقدية والمقولات الفنية عند الأهالي من المواضيع التي تتطلب بكيفية مستعجلة إجراء دراسة معمقة. ولإنجاز مهمة مثل هذه يتعين على الأنثروبولوجيين أن يتعلموا الكثير من الأدب المقارن.**

**لقد كانت الدراسة الأنثروبولوجية للأدب - وعمليا لا زالت - تنكب دائما على الأعمال الشفهية أكثر من الأعمال المكتوبة. ولكن الانتقال الذي تشهده اليوم شعوب عديدة، من طور التواصل الشفهي إلى طور التواصل المكتوب، ينبغي أن يشكل مناسبة للأنثروبولجيين أكثر من غيرهم لتحديد الآثار الجمالية والاجتماعية والتاريخية والنفسية المترتبة عن هذا التحول. فالفرصة متاحة لهم بكيفية ملحوظة كي يسجلوا بالتفصيل وفي عين المكان الترتبات الاجتماعية لدخول عالم الكتابة. وانطلاقا من ذلك سيتمكنون من دراسة - بمصطلحات إنسانية وواضحة - ماذا يتم عندما يملك المؤلف إمكانية أن يكتب وينشر لجمهور من القراء الفرديين بدلا من أن يغني أو يحكي أمام جماعة حاضرة. لكن أعمال لأنثروبولوجيين ليست في حاجة إلى الاتكال على الأدب الشفهي للشعوب ذات الثقافة المختلفة عن ثقافتهم. فالأهمية التي يولونها للأدب، شأنها شأن تلك التي يولونها للمجتمع، هي مسألة تجربة اجتماعية كلية. وإذا كانوا يمتلكون الكفاءة الأدبية واللغوية الضرورية فلا شيء يمنعهم من القدرة على إعادة خلق هذا السياق حينما يتعلق الأمر بآداب المجتمعات الصغيرة التي لا تعرف الكتابة. ويحدونا أمل صادق في إمكان تحقيق ذلك.**

**قائمة المراجع:**

**[[1]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftnref2). REICHLER, Claude.- La littérature comme interprétation symbolique (in) l’interprétation des textes (collectif).- Paris, Ed. De Minuit, 1989.- p.109.**

[**[2]**](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A#_ftnref2)**. Le Petit Robert.- Paris, 1987.- p.74.**

**[[3]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftnref3). REICHLER, Claude.- Op.cité.- p.82.**

**[[4]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftnref4). Voir GREMIAS, A.J et COURTES, J..-  Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage.- Paris, Hachette, 1979.- p.p.134-136.**

**[[5]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftnref5). DURAND, Gilbert.- Introduction à la mythodologie.- Tunis, CERES, 1996.- p.182.**

**[[6]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftnref6). Idem.- p.187.**

**[[7]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftnref7). Idem.- p.187.**

**[[8]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftnref8). PAGEAUX, Daniel-Henri.- Littérature générale et comparée.- Paris, Armand Collin, 1994, p.95.**

**[[9]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftnref9). Idem. – p.96.**

**[[10]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftnref10). GREMIAS .- Sémiotique et sciences sociales.- Paris, Seuil, 1976.- p.180**

**[[11]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftnref11). BRUMEL, Pierre.- Dictionnaire des mythes littéraires.- Paris, Editions du Rocher, 1988.- p.784.**

**[[12]](https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr/15-quel-avenir-pour-l%E2%80%99anthropologie-en-alg%C3%A9rie/370-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%22%20%5Cl%20%22_ftnref12). DURAND, G..- Op.cité.- p.188.**

**[13] W. H. Whitely, A Selection of Africain Prose. I. Traditional Oral Textes, Oxford, Clarendon Press, 1964, p. 10.**

**[14] Hector Munro Chadwick et K. Nora Chadwick, The Growt of litérature, Cambridge University Press, 1932-1940.**

**[15] يمكن الإشارة إلى مثال من بين أمثلة عديدة جدا، وهو كتاب ر. هوغار الذي ترجمه إلىالفرنسية فرانسواز وجان كلود غارسيا، وجان كلود باسورون تحت عنوان «ثقافة الفقير» (La culture du pauvre)».**

**.**